۱۹۹۷

خطاب صاحب الجلالة الملك في الدورة الاولى للسنة التشريعية الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أيها النواب المحترمون

حضرات السادة

عادة وحسب مقتضيات الدستور نلتقي بكم مرة في السنة، الا أن الله سبحانه وتعالى أراد بمنه وفضله أن نلتقي بكم مرتين في هذه السنة، كانت أولاهما حينما التقينا على تلك الأرض المباركة، أرض الصحراء المغربية بمدينة العيون.

ومنذ ذلك اليوم وأنا أتذكر ما قلته لكم أيها النواب المحترمون، وما قلته لشعبي من أنني ونحن جميعا في تلك الزيارة اكتشفنا مغربيا جديدا، اكتشفنا مغربيا مومنا أكثر ما يمكن أن يكون الايمان، مؤمنا مازال فتى في عنفوان شبابه وهو متسم بايمان الكهول والعجائز، مغربيا كيفما كان مستواه الثقافي والاجتماعي أصبح مشبعا بأنه هو وتراب الصحراء المغربية شيء واحد، يفنى بفنائها ويحيا بحياتها.

طيب، فاذا كان هذا النوع الجديد من المغاربة قد شب وانشق من هذه الأرض الطيبة، ألا يجدر بنا حضرات النواب ان نجدد نحن كذلك أنفسنا في ميدان العمل، ونجدد اساليبنا في النظر الى المشاكل لوضعها كما يجب ان توضع وتحليلها كما يلزم ان تحلل حقا، علينا نحن كذلك ان نطور أنفسنا ومنهجيتنا وتحليلنا، وكذلك ان نكبر أعيننا ان أمكن حتى نطل فوق حدود بلدنا على ما يجري في العالم، وما يجري في العالم لا يبعث على الاطمئنان.

وها أنتم منذ شهور رأيتم أن الموازين اختلفت، وان ما كان حلالا أصبح حراما، وما كان حراما أصبح حلالا، ها أنتم رأيتم أن ركائز الفضيلة الدولية أصبحت منعدمة، ومع الاسف انعدمت تلك الركائز ولم تخلق بديلاتها الى الآن، ونحن بلد ننتمي الى العالم الثالث، لا أقول : بلد في طريق النمو، فالمغرب ولله الحمد برصيده الماضي التاريخي الأصيل، وبعزيمته الآن ليس بلدا في طريق النمو، بل هو بلد يعد من العالم الثالث ولكن في قمة العالم الثالث، علينا إذن ان ننظر بعين جديدة ومقاييس جديدة الى مشاكلنا الداخلية والى ما يجب ان نتحمله من اختيارات ومسؤوليات في الميدان الخارجي.

ولنبدأ بمشاكلنا الداخلية :

إن مما أفتخر به ومما تفتخرون به كلكم أنه منذ ان تربعنا على عرش أسلافنا الميامين في سنة ألف وتسعمائة واحدى وستين الى السنة الماضية ضرب المغرب من جملة المقاييس التي ضربها، ضرب رقما قياسيا في استتباب وفي استمرار عملته وقيمتها، فالدرهم منذ **1961** كان دائما موازيا لقيمة الفرنك، وكان دائما يباع في الاسواق الخارجية بكيفية تجعل المغاربة فخورين بأن يكونوا يتعاملون بالدرهم.

فلهذا وهذا من مظاهر سيادتنا أريد أولا منذ الآن — واعطي أوامري للحكومة كما اعطيكم توجيهاتي لمراقبة عمل الحكومة في هذا الميدان — أن نضع حدا نهائيا لانزلاق الدرهم، فيجب أن تبقى عملتنا هي عملتنا دون انخفاض، لانها هي وجهنا في الداخل والخارج.

ثانيا : لا أريد أن يدخل المغرب في ذلك النادي الذي يواجه الآن ويقارع الصندوق الدولي، والبنك الدولي، فالمغرب له مشاكله وله نوعية حواره، وان كان لم يكن متفقا دائما مع صندوق النقد الدولي فانه وجد فيه مرونة وليونة وتفهما، فعلينا اذا أن نساير الأحداث متشبثين بسيادتنا مالكين لقيود استعمالها وتصرفها، علينا ــ بعدما جدولنا ديوننا، وبعد ما وصلتنا كميات من الاموال ــ ان نحورها الى دراهم، وان نجعل منها الانطلاقة الاقتصادية التي ستجعل العمال يرجعون لعملهم، والدولة تؤدى ما عليها من ديون لدى المقاولين ولدى أرباب الاعمال حتى يمكن لهذا البلد ان ينطلق ابتداء من اخر هذه السنة، وأن ينطلق في جو من العمل والنشاط والبناء.

ثالثا : فتحنا منذ أسابيع الافتراض لحاجيات الصحراء، وفتحناه فقط لصالح الأشخاص تاركين في معزل الأبناك والشركات مهما كانت استثمارية أو تأمينية أو غير ذلك.

فأنا أريد أن يفتح الاقتراض كذلك في وجوه الأبناك، ودور التأمين والشركات التجارية في الشهر المقبل إن شاء الله، وهذا سيمكننا من أن تخرج تلك الاموال المتراكمة في الابناك لتزيد كذلك في القاطرة قوة، ولنقوم بأعمال بنائية وتجديدية، لانه ليس من الضروري ان يكون التجهيز كله تجهيزا يتعامل فيه بالدولار أو الفرنك الفرنسي او الدوتش مارك، فهناك تجهيزات أساسية وبالاخص في ميدان الفلاحة، التجهيزات الاساسية يمكن تغطيتها بالدرهم، وإذذاك يمكن للدولة ان تتوفر وهي قادرة على ان تتوفر على ملايير الدراهم، وأن تشرع في العمل والتشجير والبناء وفتح الطرق ومد القنوات، إذن أرى من الواجب أن يفتح هذا الاقتراض كذلك للابناك والشركات وغير ذلك.

أخيرا كما تعلمون قررنا أن لا يكون هذا الاقتراض مفتوحا فقط للمغاربة وللجالية التي هي في الخارج، بل أن يفتح كذلك في أوربا لدى دول ولدى أبناك اوربية ذات سمعة عالية، فهذه مجموعة من الاعمال ومن التدابير أولا عدم قطع الحبل مع المؤسسات الدولية التي تقرضنا مع المحافظة على سيادتنا، وعلى وجوب أن نفسر لها ضرورياتنا والحدود التي يمكننا ان نتمشى معها او لا نتمشى.

ثانيا : أداء أكثر ما يمكن أن يؤدي لجميع الشركات والمقاولات والناس الذين خدموا هذه الدولة حتى يمكن للمعامل والمصانع أن تسترجع المشتغلين، وحتى يمكن لعجلة المغرب أن تدور بصورة مستمرة لا ببطء ولا بسرعة خطيرة.

ثالثا : لا يمكن أبدا بحال من الاحوال أن نزيد في انزلاق عملتنا.

رابعا : فتح الاقتراض في وجه غير الاشخاص، اذا نحن قمنا بهذه الاعمال امكننا طيلة السنة ان نجد الميادين التطبيقية التي يمكن ان تصب فيها هذه الاموال كلها لا لمحاربة البطالة او نحوها، بل في اعمال بناء وتجهيز.

يجب ان نتشبث بمبدأين : مبدأ التقشف، ومبدأ عدم افقار الناس، التقشف شيء، وافقار الناس شيء، ويمكن للانسان أن يعيش في جو من التقشف والناس ولله الحمد في سعة وفي خير وفي طمأنينة.

هذه حضرات المنتخبين هي بعض الافكار الاساسية التي اريد ان تنكبوا عليها في هذه الدورة، لانكم ستدرسون القانون المالي للسنة المقبلة.

ولكن لا يمكن أن تكون دراساتكم، حكومية كانت أو برلمانية، ذات جدوى أو فعالية الا اذا نحن أعطينا



للحوار معناه الحقيقي، وأعطيناه كذلك اطاره الحقيقي، فالحوار يقتضي قبل كل شيء من المتحاورين ان يكونوا متفقين على موضوع الحوار، هذه مسألة ضرورية، فإذا كان الاتفاق على موضوع الحوار منعدما «أحدهما يغرب والآخر يشرق»، اذذاك وجب أن يدخل كل من المتحاورين ميدان الحوار وهو يعرف أن له اختصاصات وله واجبات وعليه كذلك واجبات.

أخيرا نرجو من الحكومة والاحزاب التي تشاركها في العمل أن لا تركب بنا دائما سفينة التفاؤل المبدئي، كما أرجو من المعارضة أن لا تزج بنا في اعصارات التشاؤم المبدئي، علينا أن نكون أمة وسطا كما قلت لكم دائما، ولا يمكننا أن نعالج مشاكلنا وقضايانا الا اذا كنا ــ حينما نتحاور ــ نتفق على موضوع الحوار، فلا نشرق ولا نغرب، فإذا نحن عرفنا بالضبط ما هي وسائلنا وإلى أين يمكن أن يصل بنا الحوار، خطونا خطوات الى الامام ولكن على أن لا يصل بنا ذلك الحوار الى باب مغلق.

إذا نحن كرسنا جهودنا في هذه الدورة لتنشيط الميدان الاقتصادي والى الانطلاقة الاقتصادية والى تشغيل ما يمكن تشغيله، التشغيل الجدي البناء كما قلت لكم، تمكنا أن ننظر خلفنا وما نحن عائشون فيه، وما هو أمامنا في المناخ الدولي كان جهويا عربيا اسلاميا أو عالميا.

وفي هذا المجال الدولي وفق الله سبحانه وتعالى هذا البلد الكريم فانعقدت على ارضه قمة الدار البيضاء، وخرجت بنتائج ذات فضيلة اسلامية.

مؤتمرات ومؤتمرات، آخرها كان بالدار البيضاء المؤتمر الطارىء، وكان البعض الذين تغيبوا يظنون أن ذلك المؤتمر الطارىء سيخرج بالعرب متفككين منقسمين، فإذا به يخرج ولله الحمد بنتائج ذات فضيلة اسلامية « وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما» فلأول مرة في تاريخ المؤتمرات انبثقت عن مؤتمر الدار البيضاء الطارىء لجنتان للتصالح ولاصلاح ذات البين بين الاشقاء المتخاصمين، وقد سارت ــ ولله الحمد ــ اللجنة الاولى ــ بين سوريا والاردن، وبين سوريا والعراق ــ خطوات مباركة، واللجنة الثانية التي ستصلح ان شاء الله الاحوال بين العراق وليبيا ستتحرك في أقرب وقت ممكن، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تنال من النجاح ما نالته التي سبقتها.

هكذا سيمكن أن تخططوا للعمل الدبلوماسي المغربي برنامجه وطريقته بكل هدوء واطمئنان، ويجب أن تعلموا ان السياسة المغربية هي بيدنا، يمكن في كل وقت وحين ان نقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونقف هنا ولكن السياسة المغربية العالمية يجب أن لا تتسم بنزواتنا وخصوماتنا واحلافنا، يجب ان نطرحها بارادة، وبكيفية علمية متجردة عن كل انتماء او انتقام او انعزال.

لذا سيواجه المغرب في هذه السنة وفي السنة المقبلة كذلك مشكلة صحرائه، ومشكلة صحرائنا هي مشكلة ذات وجهين، فبالنسبة لنا ليس هناك مشكل، فالصحراء مغربية وستبقى مغربية، إلا أن هذا الوضع اذا كان يريحنا ويطمئننا فهو لا يلزم خصومنا من الناحية القانونية والدولية، ولهذا علينا أن نسعى جادين كل الجد لاقناع المجتمع الدولي بصحة ملفنا وبمشروعية مطالبنا، وكنت سأتوجه الى هيأة الامم المتحدة، ولكن نظرا لمناخات واعتبارات وعناصر، قررت أن أرسل خطابي شخصيا إلى هيأة الامم المتحدة، وسيلقيه نيابة عنا وزيرنا الاول، ولو كان ولي العهد قادرا على السفر لارسلناه هو بنفسه، ولكن نظرا لمرضه فسينوب عنا وزيرنا الاول، وسيصحبه وفد مهم، وسيلقي كلمتنا من أولها الى آخرها بين قوسين، بمعنى منذ أن يقول : فخامة الرئيس الى أن يقول:

السلام عليكم، فهو ليس الا خطاب ملك المغرب، حتى يمكن لما صرحنا به وقلناه ان نصبح ملتزمين به، وأن نضع الجميع أمام مسؤولياته اليومية والمستقبلية.

لي اليقين ــ أيها النواب المحترمون ــ أن ما قلته لكم شيء نفد الى قلوبكم وأذهانكم، نعم تطرقت اليوم الى الارقام والى التوجيهات الاقتصادية والمالية، وان كنت شخصيا لا أتوفر على التكوين اللازم لهذا الميدان الذي هو جاف، ولكن أعتبر شخصيا ان الارقام والتوجيهات الاقتصادية ليست قبل كل شيء الا مكيفة ورهن اشارات القرارات السياسية، وحينا أقول السياسية لا أقول السياسة السياسية، حينا أقول السياسية أعني بها اللفظ الذي نجده في القاموس : ساس الامور بمعنى دبرها وادارها وسيرها، يومه وغده وفيما بعد غد، فتوجيهاتي واوامري الاقتصادية والنقدية ليست إلا أوامر وتوجيهات سياسية من ساس يسوس

سياستنا أريد أن يتنفس المغرب

سياستنا أريد ان أرى الناس مشتغلين في المغرب كله.

سياستنا أريد أن أرى المغرب ورشا من شماله الى جنوبه، ومن شرقه الى غربه، فضميرنا مرتاح، وقد قمنا بالتزاماتنا ازاء الذين كانوا يخاطبوننا وهو صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، قمنا بالتزامات مرات بارتياح واخرى على مضض.

وصلنا الى حد لا يمكن تجاوزه، ولكن مازلنا متفتحين ومازلنا أصحاب نيات وارادة حسنة، في اطار سيادتنا واحترام درهمنا، هذا شيء أريد أن تعلمه الحكومة، وان تكونوا مراقبين عليه أنتم البرلمانيون، سواء كنتم في الحكومة أو في المعارضة.

أخيرا لا افراط ولا تفريط، لا تفاؤل اكثر مما يجب، ولا تشاؤم اكثر مما يجب، فالدنيا هي مشكلة تلو مشكلة، وهناك كيفيتان لحل المشاكل، اما ان يحاول المرء ان يجد حلا لكل مشكل، وهذا سيضيع فيه الوقت واما ان يتأخر شيئا ما ليرى المشاكل في حجمها ونوعها ويحاول أن يقسمها الى اجزاء لا الى آلاف مشاكل، بل الى جزء او جزأين أو ثلاثة أجزاء بنوعية كل واحدة منها، ويجد حلا لهذه المجموعة وآخر لهذه المجموعة وهكذا، اذ يمكنه في ظرف ثلاثة أشهر أن يجد حلا لمشاكل مبوبة، الشيء الذي لا يمكنه ان يجده اذا أخذ مشكلا مشكلا كحبات هذه السبحة.

ارجو الله سبحانه وتعالى ان اكون قد وجدت قلوبا واعية وآذانا صاغية، ولا يمكن ان يتصور لي غير ذلك، لانني جئت في طبقة من الاجيال التي عاشرت من هو أكبر مني سنا، وتعرفت على من هو أصغر مني سنا، وكلنا الأكبر في السن والمتوسط والأصغر صهرنا في مقاومة واحدة، وفي نضال واحد، وكلنا نريد لهذا البلد ما سوف يريده الله سبحانه وتعالى له لما اظهره عليه من جمال وما اغدقه عليه من نعم، يريد الله سبحانه لهذا البلد ان يبقى بلدا آمنا مطمئنا مسلما فاضلا سائرا على نهج اجداده، متحليا بحلية القرآن متصفا بالصفات النبوية التي تحث عليها سنتنا المحمدية، ولله سبحانه وتعالى اسأل أن يحقق الآمال، وأن لا يخيبنا وان يجعلنا كلنا التشريعيون والتنفيذيون والخديم الأول لهذا البلد، عند حسن ظن الملايين من المغاربة الذين يعيشون اليوم والذين سيزدان بهم بلدنا ان شاء الله في الأجيال المقبلة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 25 محرم 1406 ـ 11 اكتوبر 1985